

الاستعارة التصويرية وفهم العالم . رؤية في المفاهيم الإجرائية ونظام الذهن .
**visual metaphor and world understanding-from the
perspective of procedural concept and thinking linguistic.**

* منى حفصي عبد السلام شقروش²

Chegrouche abdassaleme¹, mouna hafsi²

جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)²

مخبر اللسانيات واللغة العربية.

Univ bedji mokhtar annaba

Hafmouna 356@yahoo.com¹

Dr.chegrouche@gmail.com²

تاريخ النشر: 2021/11/04

تاريخ القبول: 2021/06/04

تاريخ الإرسال: 2020/11/08

ملخص البحث

ينطلق كل من جورج لاكوف ومارك جونسن من النتائج التجريبية المتعلقة بطبيعة الذهن وبأشكال اشتغاله، لإعادة بناء الفكر الفلسفي وفق مرتكزات مغايرة، وهو ما يتيح منظورا فلسفيا مسؤولا تجريبيا عن تجسد الذهن بواسطة الأفكار واللغة وبخاصة النظام الاستعاري أو ما أطلقا عليه الاستعارة التصويرية أو المفهومية. فما المقصود بالاستعارة التصويرية؟ وكيف نفهم العالم من خلالها؟ وما هي أهم المفاهيم الإجرائية للتصور المعرفي التجريبي لدى لاكوف وجونسن؟ وكيف يسير نظام الذهن من خلال هذه الإجراءات والتصورات؟
الكلمات المفتاح: استعارة تصويرية، لسانيات عرفانية، ذهن، تجسد.

Abstract:

Lakouf and Jhonson's research stems from the experimental results related to the nature of mind fulness and in its froms of work to rebuild philosophical thought according to different foundation this provides a philosophical view empirically responsible for the incarnation of the mind by means of idies and language. Especially the metaphor system; or what the called conceptual metaphor .

What is meant by visual metaphor ? and How we understand the world throught it . ? What are the most important procedural conepts of expernimental cognitive visualization of lakof and jhonson ? And how does the mind system works through these procedues and visualizations ?

Keywords:metaphor system, cognitive hinguistics, mindfulness, theincarnation.

* منى حفصي: Hafmouna 356@yahoo.com



مقدمة:

لقد كان مسلما تسليمًا كليًا بالنظرية الكلاسيكية¹ على مر القرون التي جعلت من الاستعارة تعبيرًا لغويًا جديدًا أو شعريًا تستخدم فيه كلمة أو أكثر من كلمة لمفهوم خارج معناها العربي المعتاد، و تم حصرها في الوظيفة الزخرفية التجميلية التي لا تتجاوز نطاق السطحية إلى حين ظهور التيار المعرفي في خمسينيات القرن الماضي حيث رسم ملاحظها المفهومية بصورة أوضح كل من لايكوف و جونسن في 1970م من خلال كتابيهما: "الاستعارات التي نحيا بها" الذي ضمناه منهجًا إجرائيًا لتوضيح كيفية فهم العالم من خلال التجربة الاستعارية و بيّنا بأنه لا يمكن الفصل بين المعرفة اللغوية والتفكير، ولا بين التصورات الاستعارية ومجالاتها اللغوية التي تحكم نظامها التجربة والثقافة. وسنحاول من خلال هذا البحث أن نكشف عن المقصود بالاستعارة في المنظور المعرفي والمنهج الإجرائي للاستعارة التصورية، كما سنحاول توضيح بعض المفاهيم حول فكرة التجسد الاستعاري من خلال التجربة الإنسانية الواعية.

أولاً: العلوم العرفانية (المعرفية):

العلم المعرفي ميدان جديد تزامن مع ما عرف عن الذهن بمختلف نشاطاته، تتشاركه تخصصات أكاديمية متعددة منها: علم النفس، واللسانيات والأنثروبولوجيا، والفلسفة، وعلم الأعصاب، وعلم الحاسوب... للبحث عن أجوبة مفصلة حول: ماهية العقل؟ وكيف تُعطي معنى لتجاربنا؟ وما هو النسق التصوري وكيف يتم تنظيمه؟ وهل كل الناس يشتركون في نسق تصوري واحد؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النسق؟ وإن لم يكن كذلك فما هو الشيء المشترك بين الكائنات البشرية لتحديد طريقة تفكيرها؟

الجدير بالذكر أن هذه الأسئلة وغيرها لم تكن وليدة اللحظة؛ إنما هي أسئلة الإنسانية منذ القدم، ولكن الجديد والمستحدث هو طريقة عرضها والإجابة عنه¹.

كما تعرف بأنها: علوم متداخلة ومتضافرة الجهود، تسعى إلى التجذر في بنية الدماغ، وتوسع في مجال البحث والبيئة التي يعيش فيها الكائن الحي المعرف، وهي علوم تدرس العرفنة من حيث طبيعتها (ماهي العرفانية؟)، ومن حيث اشتغالها (كيف تشتغل العرفانية؟)، ومن حيث وظيفتها (ماذا تفعل العرفانية؟)، وتبلور هذا الثالوث من القضايا على طورين أولهما قوامه: "الحاسوب"، فيما يعرف " باستعارة

الحاسوب"، وهو الطور الحوسبي، وثانيهما قوامه: "الدماغ"، وهو الطور الترابطي فيما يعرف: " باستعارة الشبكات"². وتتلخص العرفانية في كونها: " اتجاه لساني نفسي يقوم على اعتبار النحو مجموعة من العمليات الذهنية التصورية المعالجة للمعلومات، وهو اتجاه قام أساسا على مخالفته لاتجاه عرفاني أول مثله النحو التوليدي في صيغته الشومسكية الأولى المتصلة شديد الاتصال بالتصورات الفيزيائية القريبة من المفهوم الاصطناعي"³.

ملخص العرفانية:

أنها مجموعة علوم تتعاون فيما بينها من أجل الكشف عن أسرار الدماغ البشري و كيف يعالج المعلومات المخزنة فيه، و كيف يربطنا بالعالم الخارجي من خلال خلقه لنظام تصوري فريد من نوعه يضيفي على اللغة البشرية مرونة و حياة تفيد الإنسان تواصلا و إدراكا و فهما لما يحيطه من كون و مخلوقات و تجعل عملية التواصل لوحة فنية لا تخلو من التجديد و الجمال و الحياة الدائمة المتجددة في نظام رمزي بالغ الدقة و التعقيد، ويؤرخ لها كونها مجال علمي متخصص بالظواهر المعرفية، و أنها ميدان اشتغال لعلوم مختلفة إلى النصف الثاني من القرن العشرين أي سنوات الخمسينيات، وقد لحقت بهذا الميدان عدة تطورات على طول السنوات اللاحقة. ومن بين أهم التخصصات التي اهتمت بموضوع اشتغال الذهن والتي جعلت من اللغة ميدان اهتمامها ودراستها: اللسانيات العرفانية.

ثانياً. اللسانيات العرفانية:

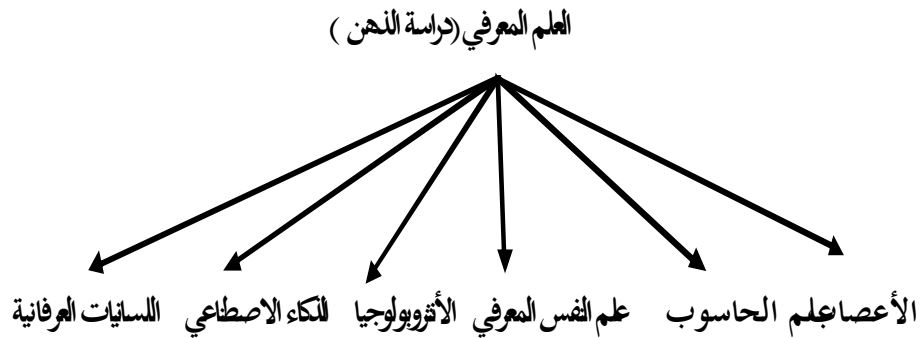
هي مدرسة جديدة نسبيا ظهر انبثاقها ضمن الميدان المعاصر للدراسة المتداخلة التخصصات المعروفة باسم العلم المعرفي؛ أي إنها إحدى تخصصات العلم المعرفي التي جعلت من اللغة مدخلا لها لدراسة كيفية اشتغال الذهن.

وقد بدأت في أخذ الدور المركزي في البحث بعد انعقاد ملتقى معهد MiT سنة 1956م. وتجري تسميتها على: تيار أو حركة تجمع عددا من النظريات التي تشترك في الأسس والمنطلقات من أجل معرفة كيفية اشتغال الذهن وتجسده من خلال اللغة⁴.

ولا تقوم اللسانيات العرفانية على نظرية الاستعارة التصورية فقط بل على نظريات عدة من بينها علم الدلالة التصورية، والسميائية العرفانية، ونظرية المنزج التصوري، والنحو العرفاني... وغيرها من الأبحاث التي تتخذ جزءا من مباحث اللغة والبيان دراسة لها أو الرموز وغيرها وكيفية اشتغال الذهن البشري وفق كل هذه الميادين.

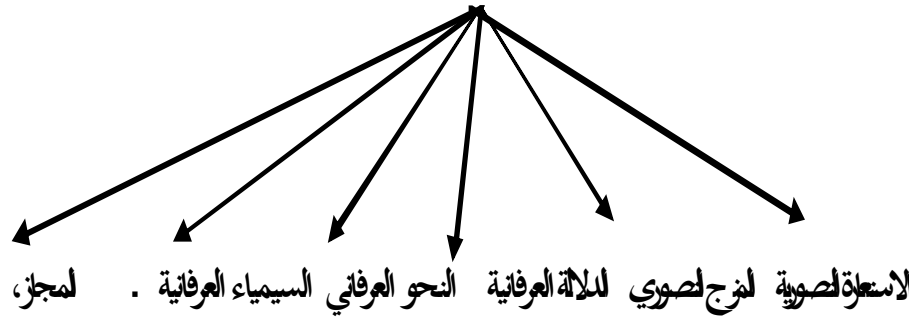
ومن بين أهم الدارسين في اللسانيات العرفانية لايكوف و جونسن اللذين اشتغلا على أهمية الاستعارة في التصور الفكري البشري؛ حيث استطاعا: "تحويل الدرس اللساني للاستعارة من وضعية هامشية ثانوية إلى وضعية مركزية في النظرية الدلالية، وتحويل الاستعارة من مجرد عنصر عرضي في فهم الخطاب و تحليله إلى عنصر مركزي، و أهم ما ميز التصور العرفاني للاستعارة. عما سبقه من تصورات من أرسطو إلى التداولين. هو طبيعة الاستعارة، فهي ماقبل العرفانيين ظاهرة لغوية و هي عند العرفانيين ظاهرة تصويرية وما اللغة إلا أحد وجوه تجلياتها".⁵ تقوم النظرية التصويرية للاستعارة لدى لايكوف و جونسن على دحض التصور الذي يعزل الذهن و الجسد عن باقي العناصر الخارجية للعالم، و يقصي فاعلية الجسد و الخيال و الثقافة في تنظيم العالم، و من هنا فالمقولة من منظورها لا تستند إلى التطابق المباشر بين الرمز و الموضوع، بل إلى العلاقة الكنائية التي يصنف وفقها المجاور لأحد موضوعات المقولة ضمنها⁶؛ أي إنه على الرغم من وجود واقع مستقل، إلا أن الوقائع و المعطيات التي يبحثها كل منهما تدل على أن الذهن البشري غير منعزل، بل هو مرتبط بكل دقائق الأمور الداخلية و الخارجية التي تحيط بحياة الإنسان من حالات نفسية و اجتماعية و ثقافية... والتي تجعل الجسد يتفاعل ذهنيا مع الواقع من خلال التجربة. يمكننا وضع مخطط يلخص ما سبق ذكره عن العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية كما يلي:

مخطط العلوم العرفانية (المعرفية)



يتجلى مفهوم الاستعارة التصويرية حسب هذه النظرية كما يلي:

للسيمات العرفانية (لمعرفة)



1. مفهوم لا يكوف للاستعارة التصويرية:

يرى لا يكوف بأن موقع الاستعارة ليس في اللغة على الإطلاق، وإنما في الكيفية التي تُفهم (Conceptualize) بها مجالا ذهنيا ما وفقا لمجال آخر؛ أي إن الاستعارة نابعة من بنية تصويرية ذهنية نابعة من تركيبة الفكر البشري ليتناغم مع العالم و يعبر عنه وفقا لتجارب البشر و ثقافتهم على اختلاف لغاتهم، و الاستعارة سمة بارزة في اللغة سواء الأدبية الشعرية أو اللغة اليومية؛ أي إننا نفكر بالاستعارة، و نحيا بها؛ يقول: " و النتيجة هي أن الاستعارة (أي الترسيمات العابرة للمجالات) تعدّ مركزية مطلقة لدلالات اللغة الطبيعية المعتادة وأن دراسة الاستعارة الأدبية هي امتداد لدراسة الاستعارة اليومية (Everydaymetaphor)، ذلك أن الاستعارة اليومية مميّزة بنسق هائل من آلاف الترسيمات العابرة للمجالات، و تتم الاستفادة من هذا النسق في الاستعارة الجديدة⁷، وهذا يقودنا إلى نتيجة حتمية في هذا المنظور و هو أن نسق الاستعارة اليومية مركزي لفهم الاستعارة الشعرية؛ ذلك أن الخبرة اللغوية و التجربة الكلامية التي ترسم علاقتنا بما يحيطنا من عوالم وأفكار تترجمها لغتنا اليومية في غالب الأمر لذلك فإن الذهن يقولب هذه التجارب و تترجم ليستفيد منها في الاستعارات الأدبية الشعرية لأنها ببساطة تستعير مجالات من خلال التجربة و الثقافة لتخلق منها استعارات جديدة لا نهائية تحكمها أيضا التجربة و الموقف و السياق.

لقد بسّط لا يكوف مفهوم الاستعارة التصويرية من خلال مثال تداوله سابقا في كتاباته مع جونسن وأوضحه جيدا في كتابه المستقل: " النظرية المعاصرة للاستعارة"، ويتضح شرحه كالآتي:

2. الاستعارة التصويرية:

يقول: تخيل علاقة حبّ موصوفة على النحو التالي:

"لقد وصلت علاقتنا إلى طريق مسدود"

هنا يكون الحب مفهما بوصفه: "a journey/ رحلة"، مع تضمين أن العلاقة متعثرة، بحيث إن الحبيين لا يقدران أن يواصلوا المضي في الطريق الذي كانا يمضيان فيه، إلى حد أنهما يجب أن يُقفلا عائدين وأن يهجرا العلاقة كلية، وليست هذه حالة معزولة؛ إذ تخطى الانجليزية بتعبيرات يومية عديدة مؤسسة على مفهومة الحب بوصفه رحلة، وهي ليست مستخدمة فقط للكلام حول الحب، بل للاستدلال حوله كذلك. وبعض هذه التعبيرات هو بالضرورة حول الحب، بينما يمكن لبعضها الآخر أن يُفهم على هذا النحو:

. انظر إلى أي مدى وصلنا.

. إنه لطريق طويل وعمر.

. إننا لا نستطيع أن نعود الآن.

. إن العلاقة لن تمضي إلى أيه وجهة.

. إننا في مفترق طرق.

. لعله يجب على كل منا أن يمضي في طريقه الخاص.

. إننا ندير عجالتنا في الفراغ.

. علاقتنا خارج المسار.

. الزواج على حافة السقوط.

. لعله يجب علينا أن نقفز من هذه العلاقة.⁸

يمكن تلخيص ما قصد لايكوف لفهم الحب من خلال مجال الرحلة كآلي:

المجال المصدر للاستعارة: الرحلة	المجال الهدف: علاقة الحب
. نقطة البداية.	. بداية العلاقة.
. أعضاء الرحلة/ الرحالة.	. الحبيين.
. الصعوبات والعراقيل كطول المسافة، أو توقف آلة السفر،	. للمشاكل، الخصام، سوء التفاهم، تدخل أطراف خارجية.
...	. انتهاء العلاقة أو إتمامها بالزواج أو الوصول إلى مفترق طرق
. الوصول/ نقطة النهاية يمكن أن تكون نهاية عادية أو مفترق	
لرق يؤدي إلى رحلة جديدة..	

يوضح لايكوف ما لخصناه في الجدول أعلاه في قوله: "إن الاستعارة تتضمن فهم مجال ما من الخبرة؛ وهو الحب، وفقا لمجال مختلف جدا من الخبرة؛ هو الرحلات، يكمن فهم الاستعارة بوصفها ترسيما/Mapping من مجال انطلاق و هو الرحلة إلى مجال وصول و هو الحب، و الترسيم مبني بإحكام، إذ توجد تناظرات كيانات في مجال الحب إذا وجدت تناظرات أنطولوجية ووفقا لها تناظرت كيانات في مجال الحب مثل: الحبيين، أهدافهما المشتركة، صعوبتهما، علاقة الحب...، بشكل منتظم مع كيانات في مجال الرحلة: المسافرين، وسيلة المواصلات، محطات الوصول..."⁹

يمكننا القول بأن الاستعارة التصورية حسب ما جاء به لايكوف ومن سار على دربه: فهم مجال وفق مجال آخر أحدهما يشكل مجال مصدر وآخر هو المجال المهدف بحكم التجربة والثقافة؛ أي إن اشتغال الذهن بواسطة التجربة والإسقاط كفهم المعنويات بواسطة مجال الماديات؛ كتجربة الحب بالرحلة، وتجربة الجدل والأفكار بمفهوم الحرب، والزمن بتجربة المال وغيرها.

3 المفاهيم الإجرائية للاستعارة التصورية وفق منهج لايكوف وجونسون:

أ. استعارة المجري:

تقتضي صياغتها أن يكون للألفاظ والجمل دلالات في نفسها، وذلك بأن تكون مستقلة عن السياق أو المتكلم، ويشترط فيها أن يكون كل المشاركين في المناقشة فاهمين للجمل بنفس الكيفية، غير أن السياق يبقى مهما في عدد كبير من الحالات، ويوضح هذا المثال الذي سجلته بامبلا داوونين من خلال مناقشته الحقيقية:

. تفضل بالجلوس على مقعد عصير التفاح

هذه الجملة لا تحمل أي معنى وهي منعزلة؛ لأنها لا تدخل في الأسلوب المتواضع عليه في اللغة؛ إلا أن لهذه الجملة معنى تاما في السياق الذي قيلت فيه، إذ قضى شخص ليلة عند أصدقائه ونزل في الصباح لتناول فطوره، كانت مائدة الفطور معدة لأربعة مدعوين، وعليها ثلاثة كؤوس عصير ليمون وكأس عصير تفاح، هنا تتوضح عبارة "مقعد عصير التفاح"، وانسحاب هذه العبارة على ذلك المقعد يصبح أمرا بديهيا في الصباح التالي حيث لا يوجد عصير تفاح على المائدة.¹⁰

إذن المقعد أصبح معروفا عن طريق هذه التسمية، فبدل أن تطول العبارة وتقول: اجلس على المقعد الذي وضع أمامه عصير التفاح، تلخص لنا الاستعارة كل هذا من خلال سحب شيء على شيء آخر ليجري مجراه.

ب. الاستعارات الاتجاهية:

لا تعكس هذه الاستعارات تصورا استعاريا بواسطة تصور آخر، ولكنه على العكس من ذلك ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعاقبة، وسميت هذه الاستعارات بالاتجاهية؛ لأن أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي: عال . مستفل . داخل . خارج . أمام . وراء . فوق . تحت . عميق . سطحي . مركزي . هامشي . وهي نابعة من كون أجسادنا لها هذا الشكل الذي هي عليه، وكونها تشتغل بهذا الشكل الذي تشتغل به في محيطنا الفيزيائي. مثالها: (السعادة فوق)، تكون هذا المفهوم الفوقي للسعادة باعتبارها تصورا في القمة؛ لذلك نجد أساليب من مثل قولنا: " أحس أنني في القمة اليوم"، وهذه الاستعارات ليست اعتباطية فارغة من المفهوم و المحتوى، بل هي موجودة في مرتكزاتنا النابعة من تجربتنا الفيزيائية و الثقافية¹¹؛ أي إن مفاهيم العلو والاستفال نابعة من شكل أجسامنا التي جبلت على معنى الإيجابي و القيم فوق و الأدنى قيمة سلبية أو سفلي؛ فالرأس أعلى عضو في جسم الإنسان و أهم عضو كذلك لذلك جاء مفهوم التجسد العلوي للأشياء الإيجابية و المهمة نحو الأعلى في المقابل لو أننا . مثلا . كنا نمشي على أيدينا، ورؤوسنا نحو الأسفل مع أهمية هذا العضو، لتغير مفهوم الاتجاه الإيجابي نحو الأسفل، ولأصبح تعبيرات مثل: معنوياتي في الأرض، أو معنوياتي متدنية مفاهيم إيجابية ومعبرة عن أشياء جيدة ومفيدة، ولو أن المخلوقات الأخرى تكلمت لأعطت مفاهيم التجسد في تعبيراتها بناء على أشكال أجسامها و توجهاتها، فعلى سبيل المثال لو نطقنا الأفعى معبرة عن ارتفاع معنوياتها لما قالت معنوياتي مرتفعة أو فوق، إنما تقول: معنوياتي نحو الأمام بناء على البناء الهيكلي لجسمها و الذي يتجه فيه الرأس نحو الأمام، ولو نطقنا الجمادات كالكرة أو الكرسي أو الأقلام لعبرت باستعارات اتجاهية كل حسب تكوينه الخارجي

المتجسد في هذا العالم. ومنه فإن تجربة التجسد اللغوي الاستعاري في هذا العالم مرتبطة بتكوين أجسادنا بالدرجة الأولى.

ج. الاستعارات الأنطولوجية:

تضم نوعين من الاستعارات هما:

ج1. استعارات الكيان والمادة:

التي تمدنا بجزء منها الاتجاهات الفضائية مثل: تحت، فوق... إلخ، غير أن هذه الأخيرة لا تمدنا بمعنى شامل لتصوير تجاربنا بشكل أعمق لذلك نلجأ لفهم عالمنا من خلال اعتبار الموجودات موادا يمكننا تكميمها وتجميعها، وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقتنا، وينسحب ذلك على الجبال والحواجر وتقاطعات الشوارع... إلخ، مثلاً قولنا:

. إن التضخم يخفض مستوى عيشنا

. إننا نعمل من أجل السلام

كل من المثالين السابقين جعلنا نتكلم عن معنويات في شكل مادي، فالتضخم والسلام ليسا شيئين ماديين؛ إنما تصورنا لهما بشكل مادي كأننا نتحدث عن أشخاص ومواد ملموسة هو من قبيل الاستعارة الأنطولوجية التي تساعدنا في تقديم تحليل عقلائي لتجاربنا وتسمح للجماعة اللغوية بتعميم الفكرة لتصبح مقبولة لدى الكل ومفهومة بصورة أوضح.

ج2. استعارات الوعاء:

تنطوي على ثلاثة أقسام:

أ. الأقاليم الأرضية:

التي تجعلنا نسقط الاتجاهات ونحدد بواسطتها أشياء فيزيائية أشياء أوعية لها داخل وخارج كالغرف والمنازل التي تصبح في اعتبارنا أوعية والتنقل من غرفة إلى أخرى تنقل من وعاء إلى آخر، وحتى إن لم نجد حدوداً طبيعية فيزيائية قد تسمح لنا بتحديد وعاء ما فإننا نفترض حدوداً تفصل الإقليم بحيث يكون له داخل ومساحة تحده. كما يمكننا أن نعتبر (المواد) أوعية نأخذ مثلاً على ذلك: حوض الماء، فإن دخولنا إليه فتصبح داخل وعاء يشكله كل من الحوض والماء، ونعتبر كلا منهما وعاءين مختلفين فالخوض: شيء/ وعاء، أما الماء: فمادة/ وعاء.

ب. مجال الرؤية: يركز على حقلنا البصري بجعله وعاء، ويشير مصطلح " حقل بصري " و " مجال الرؤية " إلى ذلك. ونحن نعتمد على مجال رؤيتنا لتقييم الحدود التي تنحصر في مجال رؤيتنا وهذا المجال المحدد نعتبره وعاء؛ لذلك يوجد ترابط بين مجالنا البصري وهذا الفضاء.

ج.. الأحداث والأنشطة والأعمال والحالات:

تجعلنا الاستعارة نتصور الأحداث والأعمال على أنها أشياء، والأنشطة بأنها مواد، والحالات هي الأوعية.

مثال: السباق هو حدث؛ لأنه كيان مستقل بمكان وزمان وحدود جد مضبوطة، ما يجعلنا ننظر إليه باعتباره شيء/ وعاء، يوجد فيه المتسابقون وهم أشياء، كما توجد فيه أحداث كالانطلاقة والوصول وما يتخللها وتعتبر هذه الأحداث استعاريا أشياء، وتمثل المادة الاستعارية هنا في نشاط الجري.

د . التشخيص: تسمح لنا هذه الاستعارات برؤية ما كان غير بشري بشريا، وتخضع عملية التشخيص للانتقاء البشري، من خلال خلق كل فرد لتصور معين حيال فكرة أو موضوع معين مثل:

. هاجم التضخم أسس اقتصادنا

. خدع التضخم أحسن الخبراء في البلاد

إذا حللنا المثالين السابقين وفق التشخيص، فإننا ننظر للتضخم على أنه أحد البشر الذي يتميز بالقوة والمكر، وكأنه عدو مجهز بالعدة والعتاد ليهاجمنا، مما يجعل فكرنا يجسد حربا تصورية تقوم على صراع يمثله عدو يهاجم بأقصى ماله من قوة وحيل ليطيح بالاقتصاد ويخدع أمهر الخبراء. لذلك فالتشخيص لا يعطينا وسيلة دقيقة للتفكير في التضخم. مثلا. فقط ولكنه يعطينا وسيلة لمحاربه وضبطه لأنه أصبح يمثل عدوا يمكنه مهاجمتنا وخداعنا وتدميرنا ومن هنا تنشأ استعارات تشخيصية أخرى بناء على ما سبق كقولنا: أعلنت الحكومة حربا على التضخم أو يجب محاربة التضخم، أو إن الدّ أعدائنا اليوم هو التضخم... إلخ

2. الكناية:

تختلف الكناية عن التشخيص في أن هذا الأخير تتم فيه إسناد خصائص بشرية إلى أشياء غير بشرية، في حين أن الكناية في مفهوم لايكوف وجونسون يتم فيها الإحالة إلى أشياء واقعية مثل " ينتظر طبق الدجاج الفاتورة "؛ فالمقصود بطبق الدجاج هنا شخص واقعي هو الذي طلب هذا الطبق من المطعم

وتناوله لذلك يجب عليه دفع الفاتورة، ويتم في الكناية الإحالة على كيان آخر مرتبط بكيان مستعمل مثل:

. إنه في السينما؛ أي يعمل في وظيفة السينما

. لم تصل التايمز إلى الندوة الصحفية، أي صحفي مجلة التايمز

لا تقوم الكناية على الكلمات فقط إنما على فن التصوير أيضا، فإذا أردت معرفة شخص مثلا فكيفك النظر في صورته لعلوك الرضا بعد ذلك، ولكن إن رأيت صورة الجسد دون الرأس فإنك ستشعر بالغربة وتبقى تتساءل عن شكل ذلك الإنسان؛ لذلك تعتبر كناية الوجه ثقافة متجذرة عند البشر في المعرفة والحكم على الأشخاص؛ فالكنايات كما يرى لايكوف وجونسن، شأنها شأن الاستعارات، ليست حالات عشوائية أو اعتباطية يجب علينا أن نتعامل معها باعتبارها أمثلة فريدة.¹²

تعتبر دراسة كل من لايكوف وجونسن إضافة فريدة من نوعها إذ خرجت بالاستعارة من اقتصرها على الخاصة فقط إلى اعتبارها نظاما ذهنيا لا يرتبط باللغة الفصحى وانجازات الشعر فقط بل يتعداه إلى المحادثات اليومية العادية، كما جعل لايكوف من الاستعارة " بحثا في ماهية الإنسان من خلال بحثه في طبيعة الفكر وإثبات أنه مجسّد ومرتبطة بالمحيط وما للإنسان من تفاعل مع المجموعة وعناصر الكون"¹³.

كيف تتجسد أفكارنا من خلال الاستعارة؟

3. الاستعارة الأولية والنظرية العصبية:

يرى جوزيف غراي بأن الاستعارات المعقّدة ناتجة عن استعارات أولية تنبني على تجربتنا اليومية بحيث ترتبط تجربتنا الحسية . الحركية بمجال أحكامنا الذاتية؛ مثلا لدينا الاستعارة التصويرية الأولية التالية: " الحنان دفء " لأن تجربتنا الأولى مع الحنان تُوافق التجربة المادية للدفء الناتج عن الاحتضان والاتصال الجسدي المباشر، ويبيّن كريستوفر جونسن أن الأطفال يتعلمون استعارات أولية اعتمادا على دمج بناء قراءة مركبة للمجالات التصويرية في حياتنا اليومية. وقد حلل استعارة: " المعرفة رؤية " ويبيّن أن الأطفال يستعملون الفعل " رأى " استعمالا حرفيا، أي يكون معناه الرؤية فحسب، بعدها تأتي مرحلة يتم فيها دمج الإبصار والمعرفة؛ وبعد هذا تتضح استعمالات استعارية للرؤية والإبصار كما في قولنا: " هل ترى ما أعني؟ " استعاريا لا حرفيا¹⁴

يتضح لنا من هذه الرؤية بأن تصوراتنا الاستعارية تحكمها التجربة لأنها تكون أولية وبسيطة مع بساطة الفكر البشري حسب مراحل النمو فعندما يكون الدماغ دماغ طفل تنقصه الخبرة والتجربة وتأثيرات البيئة والمجتمع والثقافة وما شاكلها فإنه يستعمل الكلمات بتركيبها البسيط ومعانيها الحقيقية غالباً، وبعدما يتطور مع مرور العمر وتراكم الخبرات ترتسم عنده القدرة على الربط والإسقاط الفكري للتصورات المشابهة عبر مجالات تكون الأولية مصدراً والأخرى أهدافاً استعارية بناءً على الخبرة والثقافة. والنسق البصري للدماغ هو المسؤول عن تكوين استعاراتنا التصورية من خلال إسقاط العصبونات من الشبكية إلى القشرة البصرية الأولية (ب1)، مع الخلايا العصبية التي تكون مجاورة أو قريبة في (ب1)، لتتكون خريطة/ نسخ في ب! للصورة الشبكية. لتتكون الاستعارة بالمفهوم الطبوغرافي، بحيث تكون الشبكية هي الإقليم وب1 هي الخريطة. ليتخذ الإسقاط أو النسخ في النظرية العصبية للاستعارة معنى مختلفاً، وتبرز الاستعارات الأولية تلقائياً ودون إذن بعد النسخ اللغوي ومراحل التعبئة الطبيعية والاحتمالية.¹⁵

4. الذهن المتجسد والعلم المعرفي:

توصل الطرح المعرفي لنتائج مثيرة للاهتمام بخاصة في عالم الدماغ البشري وتكون التصورات وكيفية التفكير الصوري خاصة في مجال الاستعارة ومن بين أهم النتائج مايلي:

. الذهن متجسد أصلاً.

. الفكر لا واع في غالبيته.

. التصورات المجردة استعارية بشكل كبير.

كانت هذه النتائج أسباباً مهمة في فهمنا للعقل وصححت أفكاراً كثيراً من بينها:

- العقل ليس متحرراً من الجسد: أي إن الآليات التي تتيح لنا أن ندرك ونتحرك، هي نفسها التي تخلق أنسقتنا التصورية.

- العقل تطوري: وهذا ما لاحظناه في بنية الاستعارة الأولية وتطورها، كما أن العقل ليس واعياً تماماً، ولا حرفياً صرفاً؛ إنه استعاري بشكل كبير وواسع الخيال، وعقلنا ليس هادئاً، إنه مشغول عاطفياً¹⁶.

يعكس لنا ما سبق ما معنى أن نقول إن التصورات و الفكر كيانات مجسدة؟؛ أي إن أي عملية تفكير نقوم بها مستعملين تصوراً ما، تعني أن البنيات العصبية للذهن هي المسؤولة عن هذا التفكير ووفقاً لهذا فإن هندسة الشبكات العصبية لأذهاننا تحدد تصوراتنا و نوع تفكيرنا، بمعنى أن تجاربنا وكل ما نمر به في حياتنا و ما نجمعه من مشاعر و خبرات و علاقات بما يحيط بنا في هذا الكون تجتمع في

أذهاننا و تصبح نماذج استعارية مصدرية تبنى من خلالها استعارات جديدة ومتنوعة حسب التجربة و المواقف وهكذا يتجسد ذهننا بواسطة الأفكار و اللغة، و يحيا من خلال الاستعارة.

5. خاتمة:

نخلص في بحثنا هذا إلى نتائج عدة من بينها:

- أن الاستعارة ليست مجرد زخرف وزينة كما جاء في الطرح الأرسطي الكلاسي إنما هي طريقة تفكير و حياة.

أن الاستعارة تخلق معان جديدة؛ أي أنها تثري اللغة وتبهر المتلقي؛ لأنها تبتكر استعارات جديدة وممتعة من استعارات مبتدلة ومتداولة، كما في الاستعارة الجديدة: الحب عمل فني مشترك بدلا من الحب رحلة أو الحب اتحاد...

. أن التوالد الاستعاري عبر المجالات لا متناهي؛ أي إنه في توالد مستمر و حياة دائمة؛ فما كانت استعارة مصدرية أصبحت استعارة هدفية، والاستعارة الجديدة نفسها تصبح مصدرا لمجال هدف آخر، كقولنا: الجدال حرب، الجدال مباراة؛ حيث نجد المجال المصدر تغير من الجملة الأولى إلى الثانية من الحرب إلى المباراة وذلك راجع إلى ثقافة وتفكير المتكلم والمتلقي...

أن الاستعارات تتطور حسب خبرة وتجارب الدماغ البشري، وفكرة التجسد بالاستعارة هي التي تربط دماغنا ليترجم تجاربنا بواسطة اللغة.

أن الاستعارة طريقة تفكير و حياة؛ فهي حاضرة في كل مجالات حياتنا، وليست مقتصرة على اللغة فحسب؛ بل توجد في تفكيرنا وأعمالنا التي نقوم بها يوميا، ويمكننا القول بأن نسقنا التصوري الذي يُسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس.

هوامش:

¹: J.LAKOFF: WOMEN AND FIRE AND DANGEROUS THINGS; WHAT CATEGORIES REVEAL ABOUT THE MIND; THE UNIVERSITY OF CHICAGO; CHICAGO AND LONDON; 1987; P6. نقلا عن: عمر بن دحمان: الاستعارات والخطاب الأدبي مقارنة

معرفية معاصرة إشراف بوجمعة شتوان، جامعة مولود معمري، تيزيوزو، 2012م، ص14.

²: الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفية، منشورات الاختلاف، د.ط، د.ت، ص35.

- ³: عبد الجبار بن غريبة: مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنشر والتوزيع، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، ط1، 2010م، ص09.
- ⁴: HADUMOD BUSS MANN: ROUTLEDGE DICTIONARY OF LANGUAGE AND LINGUISTICS; TRANSLATED AND EDITED BY GREGORY TRAUTH AND KERSTIN KAZAZI, EDITION P, IN THE TAYLOR AND FRANCAIS LIBRARY, LONDON AND NEW YORK, 2006, P197.
- ⁵: محمد الصالح البوعمراني: السيميائية العرفانية الاستعارية والثقافي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2015م، ص1.
- ⁶: ج. لايكوف: حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر. عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص8،9.
- ⁷: ج. لايكوف: النظرية المعاصرة للاستعارة، تر: طارق النعمان، مكتبة الاسكندرية، مصر، 2014م، ص07.
- ⁸: المرجع نفسه: ص08.
- ⁹: م.ن: ص13.
- ¹⁰: ج. لايكوف و م. جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، المغرب، ط1، 1996م، ص30،31.
- ¹¹: المرجع نفسه: ص33.
- ¹²: م.ن: ص45.
- ¹³: الأزهري الزناد: نظريات لسانية عرفانية، مر. س، ص160.
- ¹⁴: . لايكوف وم. جونسون: الفلسفة في الجسد . الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، تر: عبد المجيد جحفة، مكتبة الفكر الجديد، ط1، مارس 2016م، ص25.
- ¹⁵: المرجع نفسه: ص27.
- ¹⁶: الفلسفة في الجسد، ص38، 39.